الله

خير العادلين

زمزم منصور القطان

٢٠٢٢م-٢٠٢٣م

المركز الثقافي
الإحقاقي

اللّٰه
خير العادلين

زمزم منصور القطان

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com
٢٠٢٢م - ٢٠٢٣م

المقدمــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه وله الشكر على نعمائه وأفضل صلواته وتحياته على محمد وآل محمد ﷺ الطيبين الطاهرين واللعنة على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾(١).

أخي المؤمن.. أختي المؤمنة..

العقيدة التي يجب على كل مسلم الاعتقاد بها بحيث لو لم يعتقد بها فهو خارج عن الإسلام هي التوحيد والنبوة والمعاد.

أما أصول المذهب فهي التي من لم يؤمن بها يخرج عن التشيع وهي العدل والإمامة. هذه الأصول الخمسة (أصول الدين) لا يجوز التقليد فيها، بل يجب الاعتقاد بها اعتقاداً قلبياً بالدليل والبرهان، كذلك يجب أن يكون الاعتقاد باليقين والإيمان لا بالظن والتخمين.

فبإذن الله بحول وقوته سوف نستعرض في هذه الدورة ثاني أصول الدين وهو العدل. ومنكره كافر وخارج من زمرة المؤمنين وهو من جملة الصفات الثبوتية الذاتية، وكما يجب الاعتقاد بالصفات الذاتية أنه حي قدير عليم سميع بصير وأنها عين ذاته تعالى، كذلك يجب الاعتقاد بأنه عدل ولأنه عين ذاته الذي لا فرق بينه وبين الذات بوجه

زمزم منصور القطان

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٩.

العـدل

- **قد يتساءل البعض ما معنى إن الله عادل؟**

معناه أنه لا يصدر منه الظلم، ومعنى الظلم هو أن لا يضع كل شيء موضعه، ويعطي الشيء خلاف ما يطلبه بلسان الحال، مثلاً يعطي لطالب الخير الشر ويعطي لطالب الشر الخير، ويعطي لمن يطلب العلم الجهل ولمن يطلب الجهل العلم، والله جامع لجميع الصفات الكمالية ومنزه عن كل نقص وعن الصفات الذميمة، ومن المعلوم أن الظلم نقص ومذموم وأي صفة أقبح من الظلم، وهو سبحانه ذم الظلم ونهى عنه في كتابه الكريم فكيف يتصف به؟!

- **قصة (توضح عدل الله سبحانه وتعالى):**

دخلت امرأة على النبي داود عليه السلام فقالت: يا نبي الله ربك ظالم أم عادل؟

قال عليه السلام: ويحك هو العدل الذي لا يجور، ثم قال لها: ما قصتك؟

قالت: إني امرأة أرملة عندي ثلاث بنات أقوم بإعانتهم من غزل يدي، بالأمس وضعت غزلي في خرقة حمراء وأردت أن أذهب السوق لأبيعه فإذا أنا بطائر قد انقضّ عليّ وأخذ الخرقة والغزل وذهب وبقيت محزونة مالي شيء حتى أنفق به لبناتي، فبينما المرأة تتحدث مع النبي داود عليه السلام وإذا بالباب يطرق على داود عليه السلام فأذن بالدخول وإذا بعشرة من التجار مع كل واحد مائة دينار فقالوا: يا نبي الله أعطها لمستحقيها.

فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال؟

فقالوا: يا نبي اللّه كُنّا في مركب فهاجت علينا فجأة الأمواج فأشرفنا على الغرق والموت فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل فسددنا به عيب المركب فنجونا ونذرنا الله أن يتصدق كل واحد منّا بمائة دينار فخذ هذا المال، فتصدق به على من يستحق، فالتفت النبي داود عليه السلام إلى المرأة وقال لها: ربك يتاجر لك في البر والبحر وتجعلينه ظالماً؟! فأعطاها ألف دينار.

فقال: أنفقيها على عيالك واللّه أعلم بحالك.

فالعدل هو اعتقاد أنه تعالى عادل في مخلوقاته غير ظالم لهم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[1]، ولا يفعل قبيحاً ولا يخل بواجب، ولا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه وابتلائه يُثيب المطيعين وله أن يعاقب العاصين، ولا يكلف الخلق ما لا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون، ولا يقابل مستحق الأجر والثواب بأليم العذاب والعقاب، وأنه تعالى لا يجبر عباده على الأفعال سيما القبيحة ويعاقبهم عليها، بل هو الرحمن يعطي كل ذي حق حقه، ويسوق إلى كل ذي رزق رزقه، على قدر ما يطلبه بلسانه وأعماله، واستعداده، وقابليته، فيحسن لمن أطاعه وعمل الصالحات، ويعذب من عصاه وعمل السيئات ويغفر لمن تاب، وآمن وعمل صالحاً، قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٢.

(٢) سورة الزلزلة: آية ٧-٨.

ينبغي للمؤمن أن يعيّ ولو ببعض من حقائق عدل الله سبحانه

- بعض الأمثلة من حياتنا تدل على عدل الله سبحانه وتعالى:

١- أن الله تعالى عادل ليس بظالم أحد ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾.

٢- أن الله تعالى لا يحب الظلم بل هو الرحمن يعطي كل ذي حق حقه ويسوق إلى كل ذي رزق رزقه حسب قابليته واستعداد كل موجود (مخلوق)، فيحسن لمن أطاعه وعمل الصالحات ويعذب كل من عصاه وعمل السيئات ويغفر لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾.

٣- ضد كلمة العدل هي الظلم وأن الله تعالى منزه عن الظلم وذلك لعدة أسباب:

أ- الذي يرتكب الظلم لا يخلو من ثلاث أشياء:

- أن يكون جاهل فيظلم والله أجل وأعلا من أن يجهل بل هو العلم والعلم ذاته.
- أن يكون مضطراً وأن الله منزه عن الاضطرار (ويفعل الله ما يشاء).
- قد يكون الظالم عمله لعباً وعبثاً ولهواً والله يقول: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء: آية ١٦.

ب- كيف يتصف الله تعالى بصفات الرذيلة ويتصف بأنه ظالم وله الأسماء الحسنى والصفات الكمالية ومنزه عن كل عيب ونقص قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[1].

- قصة (الإنسان يأخذ وبال عمله آجلا أم عاجلاً):

قيل أن رجلاً أراد أن يسرق ملابس عالم خلال سفره في الصحراء، وكان وحيداً ولكن السارق خاف وبال عاقبته عاجلاً خاصة أن الرجل الذي أمامه عالماً.

فسأله: هل أن الله يأخذ الإنسان بذنبه عاجلاً أم آجلاً؟

فقال العالم (وهو لا يعلم بنيته): قد يُمهل السارق أو المذنب مدة طويلة تصل إلى أربعين سنة، وعندما سمع السارق هذا الكلام انقض على العالم وأخذ ملابسه وكل ما يملك وهرب مع أن العالم كان يلحّ عليه بعاقبة الله، فقال السارق: سوف أتوب قبل أربعين سنة وعندما فرّ السارق وإذا به يقع في حفرة وتتكسر رجله، فلحق العالم وأخذ ملابسه.

فقال السارق له: ألم تقل إن الله سبحانه قد يؤخر العقاب؟

قال العالم: نعم، فقال السارق: فكيف أخذني الله بالسرقة ولم تمر ساعة؟

قال العالم: إن أخذه هذا هو بذنب قديم.

---

(١) سورة يونس: آية ٤٤.

جـ- لو فرضنا أن الله لا يفرق بين العاصي والمطيع ويجازي العاصي بالجنة ويعذب المطيع فإن هذا يؤدي:

- إلى عدم الثقة بالأنبياء والمرسلين.
- وعدم اهتمام الشخص بالوعد الوعيد الذي نزل في الكتب.
- ورفض الأعمال الصالحة لعدم نفعها والإقدام على المعاصي وعدم تأثيرها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[1].

والعدل عبارة عن أفعال الله عز وجل العامة المنوطة بالمكلفين في دار التكليف من الأوامر والنواهي في دار الجزاء من الثواب والعقاب.

وأنه سبحانه لا يكلفهم إلا بما يطيقونه مما فيه صلاحهم قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[2] وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[3]، بأن يكون جزاؤهم يزيد على قدر التكاليف في الطاعة، وقدر فعل المكلف في المعصية، لتحصيل فائدة في تكليفهم، وفي خلقهم، فيها منفعتهم لأنه تعالى غني عن كل ما سواه وإنما ترجع فائدة التكليف إليهم ولما كان عز وجل لا تجري عليه أحوال خلقه كان رضاه عبارة عن فضله وكان غضبه عبارة عن عدله لأنه لم يغضب على من عصاه لأجل أنه عصاه فهو يتشفى ممن عصاه وإنما

(١) سورة النساء: آية ٤٠.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة: آية ١٨٥.

غضبه في الحقيقة عبارة عن إيجاد المسببات بأسبابها فالمعصية سبب تام لإيجاد العقوبة الخاصة بها فيوجد الله سبحانه تلك العقوبة بمقتضى تلك المعصية إلا أن يعفو إذا شاء لأن عفوه مانع من ذلك المقتضى فإذا لم يحصل مانع من عفوه تعالى تمت سببية المعصية فخلق بها تلك العقوبة وهو حقيقة غضبه وليس غضبه كغضب خلقه من غليان دم القلب فينبعث عنه الانتقام لتشفى المخلوق وهو تعالى عن صفات خلقه.

- **قصة**:

نقل أحد الأشخاص أنّ صديقه أتهم بقتل إنسان وأدخل السجن، وقد حكمت عليه المحكمة بالسجن مدى الحياة، قال: فتعجبت من ذلك وقد كنت أعلم أن الرجل بريء من القتل الذي أتهم به، قال: فزرته في السجن وقلت له: أنا أعلم أنك بريء لكن كيف أثبتوا عليك ما أنت بريء منه؟

قال الرجل: نعم.. هو كما ذكرت إني بريء من قتل هذا المقتول، وكلما دافعت وأتيت بالشواهد لم ينفع دفاعي، وحكمت المحكمة علي كما تعلم..

أردف الرجل قائلاً: لكن هذا بذنب سابق، فإني قد قتلت بريئاً قبل سنوات ولم يعلم بذلك أحد ولكن الله سبحانه جازاني عن ذلك بهذا السجن.

هكذا يأخذ الإنسان وبال عمله، إن عاجلاً أو آجلاً.

فإنه سبحانه (لا يمكن الفرار من حكومته) سواء أعتقد الإنسان بحكومته أم لم يعتقد بها؟

الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية

سبق وذكرنا أن الله عادل وحكيم يعني لا يظلم أحداً ولا يحب الظلم والجور، والظلم هو وضع الشيء في غير محله وموضعه وعدم إعطائه للخلق ما يستحقه بل يعطي لطالب الشيء خلاف ما يريد ويطلبه مثلاً يعطي لطالب الخير الشر، وطالب الشر الخير، وطالب العلم الجهل، وطالب الجهل العلم، وأمثال هذه الأمور تسمى بالظلم وفاعلها ظالماً والله سبحانه عادل حكيم يعني يضع كل شيء في موضعه ويعطي كل أحد مقتضى قابليته ويجعل الحسن في محل حسن والقبح في المحل القبيح ويكرم لكل أحد ما يراه مستحقاً له فعلى هذا يلزم لليل أن يكون مظلماً والنهار مضيئاً والنار حارة والماء بارداً والحديد صلباً فلو خلق النار باردة والماء حاراً والهواء سيالاً وأمثالها فقد ظلم وهذا مقتضى الرحمة الواسعة وهذه الرحمة هي العدل وإليه أشار بقوله عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، يعني أعامل مع كل أحد بمقتضى العدل والحكمة، فأدخل الكافر في جهنم وأخلده فيها، والمؤمن في الجنة وأسكنه فيها دائماً وأجعل البعيد عن ساحة عزّي بعيداً والقريب قريباً وقلوب المؤمنين منيرة بأيمانهم وقلوب الكافرين مظلمة بكفرهم لأني لو فعلت غير هذا لكنت ظالماً وكان فعلي خلاف الحكمة ولا يجوز ذلك لي لأني أرحم الراحمين وهذا معنى الرحمة الواسعة التي هي صفة الرحمن.

وأما الرحمة المكتوبة فهي رحمة فضل وإحسان مختصة بالمؤمنين

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٦.

يوم القيامة فالله سبحانه بفضله ورحمته يعطيهم الأجر والثواب ويعلي درجاتهم ويكرمهم من النعم والموائد ما لا تتناهى لا عين رأت ولا أذن سمعت وليس هذا كله بعدله إذ بعدله لا يستحقون هذا الثواب العظيم لقلة عملهم وتقصيرهم في دار الدنيا بغلبة الشهوات النفسانية عليهم لكن لما رأى المحل قابلاً للفيض وطالباً له غفر لهم وزاد في قابليتهم وأعطاهم من الأجر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اللهم اجعلنا منهم بالنبي وآله الطاهرين، وهذا معنى الرحمة المكتوبة التي هي صفة الرحيم فظهر أن الرحمة الواسعة هي العدل بعينه والرحمة المتكوبة المختصة بالمؤمنين هي الفضل بعينه (اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك).

أولاً: أمثلة على رحمة الله الرحمانية:

تلاحظ الطائر يأكل الحبوب، والحبوب تحتاج إلى منقار لأجل نقر الحبة، ثم يرفعها به، وأعطاه أيضاً الإدراك والعشور، كذلك ترى أن الطائر ذاته تستطيع عيناه أن تبصر الحبة من على ارتفاع معين وتميز بين الجيد والرديء منها.

ولقد زود ربّ العالمين عيون الهدهد بقدرة يستطيع بواستطها أن يري الماء الكامن تحت سطح الأرض وأين هو مكانه.

كذلك لو لاحظت الطائر وهو يطير يمتلك أجنحة يتمكن من خلالها أن يجوب الصحاري بحثاً عن رزقه، وأنتم تشاهدون بما أعطي هذا الجناح من نظم الريش الواحدة تلو الأخرى من بدايتها بالريشة الكبيرة

والعريضة حتى تصل في تسلسلها إلى الريشة الصغيرة الرقيقة، ويذكر القرآن في سورة تبارك قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾(١) أي يا أيها العقلاء ألا تنظرون إلى ما فوق رؤوسكم هذه الطيور من ذا الذي يحفظها في الفضاء وبهذا البدن الثقيل الذي يربو أحياناً على بضعة كيلوغرامات وزناً؟ ما هي القدرة التي تحفظها؟

إنها الرحمة الرحمانية للحق تعالى إذ سخر لها الله كل ما تحتاج إليه إذ أن جناحي أي طائر لا يشبه سواه في طائر آخر، ففي النسر الذي يشم رائحة الجثث على مسافة أربعمائة فرسخ، لأنه من آكلات الميتة، فيجب عليه أن يحمل معه الميتة من على وجه الأرض، لكي لا تبقى هناك رائحة نتنة تؤذي الإنسان، فإذا مات حيوان ما على مسافة أربعمائة فرسخ حرّك النسر نفسه إلى ذلك المكان، فمن أعطى حاسة الشم هذه له، إنه الرحمن.

فقد يتصور الإنسان أن أنواع البلاء والمحن والمعاناة وألوان الأمراض التي تؤدي إلى الموت أنها خلاف الرحمة، وهذا يدل عدم معرفته للرحمة، فيرى كل شيء مُخالف لهواه فهو مخالف للرحمة علماً أنه يحمل الرحمة المستورة.

مثال: يوم من الأيام أُصيب سلمان الفارسي بالزكام وجاء معصوب الرأس عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: كيف حالك؟

---

(١) سورة الملك: آية ١٩.

فقال له: إن رأسي ليؤلمني يا سيدي.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن في البدن ستة عروق فإذا ما تحركت بعث الله عليها بستة أشياء ليبطلها، عرق الجنون والجذام والعمى والطاعون والبرص والبواسير، فإذا تحرك عرق الجنون أرسل الله عليه الزكام فيبطله، وإذا تحرك عرق الجذام أنبت الله الشعر في الأنف فيبطله ولا تأخذه بالمنقاش، وخذه بالمقراض، وإذا تحرك عرق العمى أرسل الله عليه الرمد، وإذا تحرك عرق الطاعون أرسل الله عليه السعال فيخرجه بلغماً.

والشيء الآخر هو في ما لو تعرض الإنسان إلى حالة العمى، فتحكمه الحكمة الإلهية بالإبتلاء بمرض العين (الرمد) الذي ينتج عنه إفراز العين من الأوساخ، للحيلولة دون الإصابة بالعمى.

كذلك لو تهيأت أسباب الإصابة بالبرص[1] فيبتليه الله بالإصابة بالدمل التي ينجم عنها القيح للحيلولة دون الإصابة بالبرص، وأيضاً إذا تهيأت العوامل المؤدية للإصابة بالبواسير، دفعه الله بالإصابة بتشقق كعب الأرجل للحيلولة دون الإصابة البواسير.

ثانياً: الرحمة الرحيمية:

وهي خاصة بطائفة معينة من الناس، وهم من يجد في نفسه إيماناً،

---

(١) البرص: هو مرض جلدي يصيب البدن بألوان وأشكال البقع الجلدية الغريبة.

فعند ذلك يكون مؤهلاً لنيل الرحمة الرحيمية الإلهية والرحمة الرحيمية من حيث كيفيتها أزاء الرحمة الرحمانية التكوينية العامة تكون على الشكل التالي:

ما يعطيه الله للفرد المؤمن من الرحمة الرحيمية تعادل كافة أشكال الرحمة بجميع عالم الوجود، فما يحصل عليه المؤمن من عناية وحياة أبدية وسلطان أكثر من مليون سنة بل ما لا نهاية (خالدين فيها) بل ويحصلون على كل ما يتمنوه قوله ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾(١).

فإذا رغبت أن تحصل على الحياة الخالدة، فكن عبداً لله، وإن أردت أن تلحقك الرحمة التامة الكاملة الباقية، فصر عبداً لله. كما أن الرحمة الرحيمية فهي خاصة بما بعد الموت، وفي الآخرة لمن يخرج من الدنيا وهو على الإيمان، الإيمان بالله ورسوله، هكذا إنسان حري بهذه الرحمة الإلهية أن تشمله قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾(٣).

- أمثلة من الرحمة الرحيمية:

١- إن المؤمن إذا نوى عبادة تكتب له حسنة واحدة وإذا أدّى تلك

(١) سورة الفرقان: آية ١٦.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٥٦- ١٥٧.
(٣) سورة الأحزاب: آية ٤٣.

العبادة فعشر حسنات قوله تعالى في سورة الأنعام (١٦٠) ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾. أما في الذنب فلا تكتب على النية سيئة، وإذا اقترف السيئة كتبت له سيئة واحدة في صحيفته ذلك قوله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

٢- التوبة جعلها الله لأهل الإيمان، ليس هناك ذنب لا يغفر، فليس أشدّ من الشرك والكفر شيء ومع ذلك فإن التوبة منها تقبل، مع العلم أن التوبة من الشرك والكفر تكون بالإيمان بالله ورسوله ويوم الجزاء، وبذلك يصحُّ القول بأن التوبة لأهل الإيمان فقط، فلا بد أن يؤمن ليغفر له كفره أو شركه.

والتوبة تنفع إذا كان قبل الموت، ما دام يأمل بالحياة، أما إذا تيقن الموت فلا معنى للتوبة عندئذٍ لأن التوبة تعني الندم على ما فات والتصميم على عدم العودة إلى الذنب، والقرآن الكريم ينص على أن التوبة حال الموت لا تنفع قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ﴾[1].

٣- تبديل السيئات حسنات بالتوبة، كما يصرح القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾[2] وذلك عمن تاب توبة حقيقية ومن أعماق قلوبهم ويغسلون أدرانهم بالحسرة والألم، فلا يغفر ذنوبهم فقط بل يثبت بدلها حسنات.

---

(١) سورة النساء: آية ١٨.

(٢) سورة الفرقان: آية ٧٠.

إذن الرحمــة الرحيميــة هــي أوســع من الرحمــة الرحمانيــة بمرات متعــدّدة، فهــي وإن كانت محــدودة بأهل الإيمان إلا أنهــا من حيث الكمّ والمقدار تعدل مائة ضعف من الرحمة الرحمانية وهذا مـا أكده النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «**إنّ لله عز وجل مائة رحمة، أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسَّمها بين خلقه، فيها يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة، فرحمة الله عز وجل الواسعة التي عمّت الخلائق أجمعين ليست إلاّ جزء من مائة جزء من الرحمة الإلهية التي أودعها جل جلاله في قلوب وأرواح المؤمنين وأوليائه الصالحين**»[1].

وهذا يعني أن الرحمة الرحيمية هي رحمة اكتسابية لا تكوينية، تختلف عن سنخ الرحمة العامة التي صارت في متناول الجميع دون سعي لها أو طلب للحصول عليها، فبالرحمة الرحيمية التي يحصل عليها العبد ينعم بآثارها المتجسّدة بالمنازل الشامخة والمراتب المعنوية الرفيعة وينل جنّة الخلد والوصول إلى رضوان الله تعالى، وهذا لا يتحقق إلا أن يرتقي الإنسان إلى منزلة الإنسانية التي أرادها الله له.

---

(١) البحار: ج٩٢، ص٢٥٠.

كيف نجمع الشر مع العدل؟

سبق وقلنا أن العدل عبارة عن إعطاء كل موجود وما يستحقه، والظلم عكس (ضد) العدل وهو عبارة عن منع ذلك الموجود الشيء الذي يستحقه.

ولكن كيف نجمع الشر مع العدل؟

نجد في هذا الكون شرور وعيوب فمثلاً بعض الناس يولد أعمى أو أبكم أو نقص في الأعضاء، ونجد الفقير والغني، الجاهل والعالم لماذا هذه الفروقات؟

ولماذا تحدث هذه الزلازل والسيول فتقتل وتشرد المئات من الناس في وقت واحد؟ كل هذه تعدّ من الشرور حتى الموت يموت الشاب في العشرين من عمره وتبقى العجوز ذات المائة عام، فكيف تتلاءم هذه الأمور (الشرور) مع العدل؟!

للإجابة على هذا السؤال علينا معرفة عدة أمور:

أولاً: يجب التأمل في معنى الشر، فهل أن الوجود شر؟!

إن الأصل في كل شيء هو الخير أما الشر فهو عرضي كيف؟

مثال: السيل الذي ينزل على قرية فيغرقها أصله ماء مطر الذي هو رحمة محضة إلاّ أنه صادف نزول هذا السيل في هذه القرية على الوادي مما سبب جرف هذه البيوت وتكسيرها وخرابها فينبغي على أصحاب هذه المنازل أن يبنوا منازلهم في الأماكن المرتفعة لماذا بنوها في أماكن

منخفضة، وهو تقصير من الإنسان أما ماء المطر فهو خير وبركة فلو صادف مزرعة لأحياها.

إذا قلت والموت؟ نقول هل الموت شر؟ كلا، الموت راحة للمؤمن وهي بداية الحياة الأبدية والإنسان هو الذي يحدد حياته الأخروية إن كان مؤمناً فله الروح والريحان وجنة النعيم، وإذا كان كافراً عاصياً فله عذاب الجحيم.

إن ما يحدث في الوجود هو خير بالذات وأما شره فقليل وعرضي خيره غالب على شره، إذن فالشرور عرضية حتى الشيطان كيف؟

فمثلاً إذا أردنا أن نضرب مثالاً عن الشر نجد الشيطان هو أول ما يتبادر في ذهننا فهو أساس الشر كيف؟ وما هو الشيطان؟

الشيطان عبارة عن مخلوق ناري مستور مخفي لذلك سُمي جن لأنه من الجن، وقد كان خَيِّراً في البداية حيث عَبَد الله ستة آلاف سنة حتى صار من الملائكة وطاووسها بل خطيبهم وبعد ستة آلاف سنة خلق الله آدم من تراب وأمر الملائكة ومنهم الشيطان بالسجود لآدم (السجود بمعنى الخضوع) ولكن الشيطان تكبر وامتنع ما أمره الله وكان سبب اعتراضه أنه خُلق من نار بينما آدم خُلق من تراب فكانت النتيجة هو طرده من رحمة الله، والسبب أنه قال (أنا) ولكن من الذي خلقه؟ فعندما يقول (أنا) فقد أنكر الله وكل متكبر كافر، والآن كل ما صدر من الله فهو خير وأما الشر فهو من الشيطان. وعندما وجد الشيطان نفسه

طريداً طلب من الله أن يعوضــه عن عبادته التي عبد الله فيها ستة آلاف عاماً، فاستجاب الله تعالى لطلبه عوضاً عن العبادة إلا الثواب الأخروي.

ومن طلبات الشـيطان التي طلبها من الله هـو البقاء إلى يوم القيامة وأن يسـلّطه على بني آدم بحيث يمكنه أن يوسـوس لهـم ويغويهم مقابل ذلـك جعل لكل إنسـان ملكاً يرعاه ويعينه على أمـره وقد روي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

عندمـا قـال آدم عليه السلام يا رب سـلّطت علـيّ الشـيطان وأجريته مني مجـرى الـدم فاجعل لي شـيئاً؟ قـال: يـا آدم جعلت لك أن مـن همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، ومن همّ بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن هو عملها كتبت له عشراً، قال: يا رب زدني، قال: جعلت لك أن من عمل منهم سـيئة ثم اسـتغفر غفرت لـه، قال: يا رب زدني، قال: جعلت لهم باب التوبة حتى تبلغ النفس هذه، قال: يا رب حسبي.

ففـي الوقت الذي جعل الشـيطان مسـلطاً على الإنسـان ليس تسـلّط حقيقـي كما صـرّح القـرآن الكـريم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾[1]، فعمله الوسوسـة فقط، فالشيطان لا قدرة له على أي إنسان فلا تلقي اللوم على الشيطان لوحده.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٢.

ثانياً: كذلك اتباع هوى النفس الأمارة، فالشهوات النفسية هي التي تجعل الإنسان أسيراً ذليلاً.

وخير مثال عمر بن سعد الذي باع آخرته لأجل دنياه، أراد ملك الري فخسر الدنيا والآخرة.

فكن على يقين أن الخير هو المطلق أما الشر فهو أمر نسبي عارض وليس أمراً ذاتياً.

مثال: الحية والعقرب كل منهما سام ولكن لا أستطيع أن أقول أنهما قاتل لأن لو كان سم الحية قاتلاً فمن باب أولى أن يقتلها قبل أي شيء قد يكون الإنسان نائم في فراشه وفي هذه اللحظة تلدغه عقرب فيموت، فالقتل ليس صفة لازمة وثابتة للعقرب ولو كانت كذلك لقتلته بالإضافة أن هذه الحية والعقرب تمتص سموم الهواء وتحتفظ بالسم في بدنها وهي بنفسها علاج للجسم، لذلك تجد إذا لدغ العقرب شخصاً ما، فإنهم يشقون بطن العقرب ثم يضعونه فوق مكان اللدغة فيشفى.

قصة:

قيل ٧٠٠ سنة كان يحيى بن زكريا الرازي الأستاذ في علم الطب حاذقاً في الطب وفروعه يعيش في نيشابور وفي ذلك الوقت أصيب حاكم شيراز بالفلج وأصبح جليساً لا يستطيع القيام عالجوه جميع العلاجات ولم يستفيد إلى أن قرر الذهاب إلى نيشابور عند الطبيب الرازي وأثناء سيرهم بالوسائل القديمة وصلوا عند الغروب فاضطروا

إلى المبيـت ليلاً وكان الطقس جداً حار فقرروا الصـعود إلى السـطح إلاّ الحاكم عاجز فنام على أرضـية الدار، فـي الصباح شاهدوا المريض قد قام من مكانه ويمشـي وقد عوفي من مرضـه، فلما سـألوه قال: لا أدري وعندما سـألوا الطبيب عن سـرّ ذلـك، أمرهم أن يخلعـوا ثيابه فوجدوا عقرباً مخفياً تحت ثيابه فعرفوا أن هذا المرض لا يشفى إلاّ بسم العقرب.

الآن هل نستطيع أن نقول أن العقرب قاتلاً؟ وأن اللّه خلقه كذلك؟ إذن لا يوجـد من طرف الخالـق إلاّ الخير والرحمة والبركة وأن يحدث شـراً يكون بسـبب الإنسان نفسـه من الإهمال أو السـرعة في القيادة فيقتل، فالشـر مـن المخلوق وليس مـن الخالق، كذلك الحال فـي الكهرباء، إذا أصيب أحد الأشخاص بالكهرباء ومات هل نقول أن الكهرباء شر قاتلة؟

العبد مركب من نور وظلمة

يقول العلامة الميرزا حسـن الشـهير بـ (كَوهر) في كتابه المخازن[1]، إنّ لله إرادتـين إرادة حتم وإرادة عزم، **فبالأولى** حتم على نفسـه بأن لا يجـبر أحداً مـن خلقه لأن ذلك الحمل وهو أن لا يعـدل عنه، ولأنّ الجبر يقتضي إما ظلمة أو عدم علمه أو ترجيح المرجوح على الراجح بلا مرجح فأراد بهذه الإرادة أن يعطي ما تقتضـيه قابلياتهـم فأفاض عليهم بقدر اسـتعدادهم، فالكافـر أراد الكفر بمقتضـى قابليته، **وبالثانيـة** أحب أن يطيعوه على غير وجه الإجبار، فمن عصـاه وكان كافراً فبمقتضى إرادته الحتمية التي أوجب الأفاضـة على حسب مقتضيات قابليته، ومن أطاعه فبمقتضى هذه الإرادة الحتمية والإرادة العزمية معاً.

إذن جميـع الأفعال الصـادرة عن العباد من الخيرات والشـرور ففي الخـيرات تجتمـع الإرادتـان وفـي الشـرور لا تكـون إلاّ الإرادة الحتمية الموجبة للإفاضـة بما اقتضته استعداداتهم فطبع الله عليها بكفرهم ولا يظلم ربك أحداً.

نستنتج من هذا الكلام أن جميع الأفعال لا تكون إلاّ بالإرادة.

فما أصابك من حسنة فهو من الله وما أصابك من سيئة فهو من نفسك وإن كان الـكل من عند الله إلاّ أن الحسـنات تنسـب إلى الله والسـيئات تنسـب إلى العبـاد لأن العامل لـه جهتان جهة إلى ربّه وجهة إلى نفسـه،

(١) المخازن: ص٨٠- ٨٣.

فالجهة المنسوبة إلى الربّ هي خير ونور لاستنارتها بنور الله لأنه كلما قرب العبد إلى الحق سبحانه استنار بنوره حتى كان يسمع بالله وينطق بالله ويفعل بالله وهذا معنى ما ورد في الحديث القدسي: «**لا زال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها**».

لذلك أهل القرب والطاعة ينسب فعلهم إلى الله لأنهم متمحّضون في إرادة الله فلا يلاحظون أنفسهم بوجه من الوجوه فيكون فعلهم فعل الله وقولهم قول الله وأمرهم أمر الله، فالله ينسب أفعالهم إليه قال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1].

أمّا الجهة المنسوبة إلى العبد يعني إلى نفسه فإنّها لا زالت مبعدّة عن الحق وكلما بعدت عن الحق ازداد ظلمتها فالشرّ الصادر عنهم إنّما يصدر عن جهة النفس المقتضية للشر فكان نسبة الشر إلى النفس أولى وهذا معنى ما ورد في الحديث القدسي: «**يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني**»[2]، لذلك قال الإمام السجاد في الدعاء «خيرك إلينا نازل وشرّنا إليك صاعد». فنسب الخير إليه والشرّ إلى نفسه.

أما حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد أبو خمسين قال في كتابه (منار العارفين وبغية العابدين)[3]: أن الله تعالى خلق العباد من نور

---

(١) سورة الأنفال: آية ١٧.

(٢) الكافي: ج١، ص١٥٢.

(٣) منار العارفين وبغية العابدين: ص٧٧-٧٨.

وظلمـة ليكون فيهمـا داعيان أحدهما يدعوهم ويميـل بهم إلى الخيرات وثانيهمـا يدعوهـم ويميل بهـم إلى السـيئات ليمكنهم القيام بمقتضى التكليـف إذ لا يتحقق فـي حقهم القدرة على الفعـل والترك باختيارهم بـدون أن يكونـوا مركّبين منهما. فركّبهم من ضـدين نـور وظلمة ليكون منشـأ الطاعات عن الأول ومنشأ المعاصـي عن الثاني، وجعل فيهم الآلة الصـالحة لفعـل كل من الطاعـة والمعصـية، وأقدر المكلف على صـدور الأفعال بها، وهيأ له الأسـباب التامة وأمره بالطاعات وحثه عليها ورغّبه فيها، ونهاه عن المعاصـي وزجره عنهـا وحذره منها وهذاه النجدين وبيّن له السبيلين فإن شاء النجاة أطاع وآمن وإن شاء الهلاك عصا وكفر لأنه سبحانه صيّره متمكناً من الأمرين.

أما من الأولى فبسـبب مـا فيه من النور، وأما من الثانية فبسـبب ما فيه من الظلمة، فباجتماع الضـدين فيه كان متمكناً من فعل الضـدين. فتبـين أن له ميلين متغايرين لأن النور يميل إلى نوعه والظلمة إلى نوعها فلما صـار فيه ميلان متعاكسان تحقق فيه الاختيار وانتفى (ابتعد) عنه الإجبار وأوعده على طاعته بالنعيم في دار القرار.

يقول الشـيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي في كتابه حياة النفس[١] أمـا حكم أفعال العبـاد الإختيارية فهي التي في إمـكان المكلف وقدرته أن يفعله ويفعل ضـده، علماً أن جميع المخلوقات من **الذوات**[٢]، **والصـفات**[٣]،

(١) حياة النفس في حضرة القدس: ص٣٣-٣٥.
(٢) ذوات: أي حقائق الموجودات من أنس أو ملك أو نبات أو جماد أو غير ذلك.
(٣) صفات: أي صفات تلك الحقائق من السمع والبصر والصم والجهل وغير ذلك.

والأفعال[1]، إنما تتقوم وتكون شيئاً بأمر الله سبحانه فليس شيء منها يستقل من نفسه ولا في فعله، ولما أراد من العباد طاعته، وامتثال أمره، ولم يتمكن المكلّف من فعل الطاعة، إلاّ إذا كان متمكناً من تركها، فيفعلها باختياره،خلقه من: نور وظلمة، وجعله منهما متمكناً من: الطاعة والمعصية.

فالعبد وأفعاله قائمة بأمر الله، بمعنى أنه سبحانه لم يرفع يده عن العبد أبداً فلا يزال العبد يفعل بالله، قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾)[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن الله عز وجل خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونوا آخذين ولا تاركين إلاّ بإذن الله**»[3].

إرادتنا ليست علة تامة، وليست منتفية تماماً، بل إرادتنا مقرونة بإرادة الله ومنحه إيانا القدرة على الفعل، لأن قدرتنا ليست ذاتية، فلهذا فإن الشرط الأساسي لتحقق إرادتنا هي إرادة الله، سواء كانت إرادتنا تلك خيراً أو شراً، فإن الله سبحانه وتعالى يرى في ذلك صلاحاً، فيمنحنا القدرة عليه، إذن فإعطاء القدرة والإختيار يتعلق بالله.

فكم من أمر نقرره ونريده ونقدم عليه، لكنه لا يتم ولا يشاؤه الله،

---

(١) الأفعال: وهي عبارة عن حركات المكلفين من خير أو شر وتصرفاتهم وأعمالهم وغير ذلك.
(٢) سورة الأنفال: آية ١٧.
(٣) كتاب التوحيد: ص٣٥٩.

فأي حركة إذن رأى اللّه فيها صلاحاً فإنه يعطينا القدرة على القيام بها فتقع، وإذا لم يرى فيها صلاحاً، فإنه يمنع القدرة عن تحققها فلا تقع.

وهذا يسمى أمر بين الأمرين، فلا جبر بحيث لا اختيار للإنسان في مقابله، ولا تفويض للإنسان بحيث تكون تمام القدرة والعلة بيده، بل إننا نريد إلى الحد الذي تقترن إرادتنا بإرادته وقدرته تعالى عند ذلك نفعل ما نريد، فلا يكون شيء إلاّ بأمر بين الأمرين لأن اللّه سبحانه إنما أوجد الأفعال بالعبد، أي أن العبد فاعل لها بالمباشرة، فلولا العبد لم يتحقق الفعل، ولولا الحق لم يتحقق العبد ولا الفعل.

إذن فالعباد يفعلون باللّه، لا مع اللّه، ولا دون اللّه حتى لا يلزم التشريك، ولا التفويض، فاللّه خالق الأفعال، والعباد فاعلها بمعنى أنه سبحانه يخلق هذا الفعل عند مباشرة الفاعل إياه، لا قبل ولا بعد، وليس هو بفاعلٍ لها، فهنا فرق بين الخالق والفاعل.

الجبر والتفويض

- ما المقصود من الجبر والتفويض؟

قال أبي عبدالله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«إن الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الله عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله في حكمه فهو كافر، ورجل يزعم أن الأمر مفوّض إليهم فهذا قد أوهن الله في سلطانه فهو كافر، ورجل يزعم أنّ الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون وإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ»**[1].

في حديث الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر فئة من هم جبريون وفئة من هم المفوضة فمن هم هؤلاء؟

- من هم الجبريون؟

الجبريون هم الأشاعرة طائفة من السنة يعتقدون بأن للبشر مصيراً وقضاءً وقدراً محتوماً، لا بُد وأن تسير أمور البشر إجباراً نحوه، وأن كل ما يقوم به الإنسان، وكل حركة تصدر عنه، فإنها بإرادة اللّه عز وجل، والإنسان مجبر على فعلها، وهم يستدلون على ذلك بظاهر بعض الآيات كشواهد على عقيدتهم هذه، فيقولون: لولا إرادة اللّه لما فعلنا هذا الأمر أو ذاك فيعتبرون كل الأعمال عائدة عليه تعالى.

---

(١) كتاب التوحيد: ص ٣٦٠-٣٦١.

من الآيات التي يستدلون عليها:

- قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾[1].

- قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2].

- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[3]،

هؤلاء (الأشاعرة) لا يقولون بأن اللّه ظالم، ولكنهم ينكرون أن يكون الظلم قبيحاً ويقولون بأن الحسن والقبح أمور من اختراعنا ولا ينبغي لنا أن نحكم على أفعال اللّه فالحسن والقبح لا يتطرق إليه، وأما أفعال البشر فهي غير اختيارية وفي نفس الوقت يجوز أن يعذبهم عليها دون أن يكون ذلك قبيحاً، هؤلاء الأشاعرة قد نسبوا اللّه تعالى إلى الظلم حيث يلزمهم أنه هو أجبرهم على المعاصي وعاقبهم عليها.

من هم المفوضة؟

المفوضة هم من المعتزلة، طائفة قالت بأن العبد هو فاعل فعله من غير مدخل لغيره في شيء من ذلك بل هو مستقل بفعله لا مانع له منه ولا صاد عنه وإلا لما استحق ثواباً ولا استوجب عقاباً فقد عزلوا اللّه سبحانه عن ملكه وأخرجوه عن سلطانه.

والفريقان في هذا خارجان عن طريق الحق، والصراط المستقيم لأن

---

(١) سورة الرعد: آية ١٦.

(٢) سورة الإنسان: آية ٣٠.

(٣) سورة الصافات: آية ٩٦.

القول بالجبر يستلزم الظلم، وهو مناف لغناه سبحانه، والقول بالتفويض يقتضي انقلاب حقيقة الإمكان إلى الواجب.

والحق في القول بالحكم الأوسط كما قال جعفر بن محمد عليه السلام: «**لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين**»(١)، يعني لا جبر بأن يقال أن الله عز وجل أجبر العباد على المعاصي فإنه لو كان كذلك لما جاز أن يعذبهم على معاصيهم، إلا لكان ظالماً وما ربك بظلام للعبيد.

ولا تفويض، بأن يقال: إنه سبحانه فوّض إلى العباد وليس له أمر في أفعالهم، فإنه لو كان كذلك، لكان في ملكه، ما لم يقدر أن يكون، فيكون معزولاً عن ملكه وسلطانه، بل أمر بين أمرين، يعني أن العبد هو الفاعل لفعله على جهة الاختيار من غير إكراه، ولا إجبار ولكن بتقدير الله الساري في فعل العبد، فبدون القدر لم يتم فعل العبد، ولم يمضي.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**إن الله لم يُطع بإكراه، ولم يُعصَ بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه**»(٢)، وهو قول الصادق عليه السلام لما سُئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟

قال عليه السلام: هو أعدل من ذلك. فقال: فهل فوض إليهم؟

---

(١) عن محمد بن يحيى عمن حدثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين، قال: قلت: وما بين أمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية» الكافي: ج١، ص١٦٠، باب الاستقامة.

(٢) التوحيد: ص٣٦١.

قال عليه السلام: هو أعز وأقهر لهم من ذلك[١].

وقد أوضـح الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بأوضـح بيان إذ قال لمن سـأله عن القضـاء والقـدر: «**ويحك لعلـك ظننت قضـاء لازمـاً وقدراً حاتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يُطع مُكرِهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً «ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**»[٢].

أوضح أمير المؤمنين عليه السلام في بيان كلامه أن المسلم لا بُد أن يقتنع بأن أعماله هي من محض إرادته واختياره، لأن الله سبحانه أمرنا ولكنّه ترك لنـا حرية الإختيـار، عندما قال الإمام أمير المؤمنـين عليه السلام «**إن الله أمر عباده تخييراً**» كما أنه سـبحانه نهانا وحذّرنا عقاب مخالفته فدلّ كلامه على أنّ للإنسان حرية التصرف وبإمكانه أن يخالف أوامر الله، وفي هذه الحالة يستوجب العقاب، وهو قول الإمام عليه السلام «**ونهاهم تحذيراً**».

وزاد الإمام علي عليه السلام توضيحاً للمسألة فقال:

بـأن الله سـبحانه لم يُعصَ مغلوباً، ومعنى ذلك بـأن الله لو أراد جبر عباده وإرغامهم على شيء، لم يكن بمقدورهم جميعاً أن يغلبوه على أمره

---

(١) وسائل الميرزا أحمد باقر الأسكوئي: ص٣٠٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٦٧٣.

فدلّ ذلك على أنّه ترك لهم حرّية الاختيار في الطاعة والمعصية وهو قوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾(١).

ثم يخاطب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ضمير الإنسان ليصل إلى أعماق وجدانه فيأتي بالدليل القاطع على أنه لو كان الإنسان مجبوراً على أفعاله كما يعتقده البعض لكان إرسال الأنبياء وإنزال الكتب عبثاً والله حكيم منزه عن اللعب والعبث، لأن مهمة الأنبياء (عليهم السلام) وإنزال الكتب هو لإصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإعطائهم العلاج النافع لأمراضهم النفسية قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾(٢).

ويختم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بيانه بأن الاعتقاد بالجبر هو نفس الإعتقاد «يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً»، وهو كفرٌ توعد الله القائلين به بالنار.

كذلك أفرطت طائفة أخرى فقالت بالتفويض، ولكن أئمة أهل البيت عليهم السلام صححوا هذه المفاهيم والمعتقدات فقالوا: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

فيكون القضاء والقدر أمراً بين أمرين، أي قسم هو من عندنا وباختيارنا ونحن نفعله بمحض إرادتنا، وقسم ثان هو خارج عن إرادتنا ونحن خاضعون له، ولا نقدر على دفعه، فنحاسب على الأول ولا نحاسب

---

(١) سور الكهف: آية ٢٩.
(٢) سورة الإسراء: آية ٩.

على الثاني، والإنسان في هذه الحالة وفي تلك مخيّر ومسيّر في نفس الوقت.

أ- مخيّر في أفعاله التي تصدر منه بعد تفكير ورؤية إذ يمر بمرحلة التخيير والصراع بين الإقدام والإحجام فينتهي به الأمر إما بالفعل أو الترك وهذا ما أشار إليه سبحانه وتعالى في قوله ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[1].

ب- مسيّر في كل ما يحيط به من نواميس الكون وحركته الخاضعة كلها لمشيئة الله سبحانه بكل أجزائها ومركباتها وأجرامها وذراتها، فالإنسان ليس له أن يختار جنسه من ذكورة وأنوثة ولا أن يختار لونه أو يختار أبويه ولا أن يختار حتى طول قامته وشكل جسده فهو خاضع لعدة عوامل قاهرة (كالأمراض الوراثية مثلاً) ولعدة نواميس طبيعية تعمل لفائدته بدون أن يتكلّف فهو ينام عندما يتعب ويستيقظ عندما يرتاح، ويأكل عندما يجوع ويشرب عندما يعطش، وفي داخله معامل ومصانع تصنع الهرمونات والخلايا الحية، وغيرها من العمليات داخل جسمه وهو في كل ذلك غافل لا يدري بأن العناية الإلهية محيطة به في كل لحظة من لحظات حياته.

ونختم هذا البحث بما قاله الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عندما سأله سائل عن معنى قول جدّه الإمام الصادق عليه السلام «**لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين**».

---

(١) سورة الشمس: آية ٧-١٠.

فأجابه الإمام الرضا عليه السلام: «**من زعم أن الله يفعل أفعالنا، ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حُججه (أي الأئمة) فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك**».

أما معنى الأمر بين الأمرين فهو وجود السبيل إلى إتيان ما أمر اللّٰه به وترك ما نهى عنه، أي أنّ اللّٰه سبحانه أقدره على فعل الشرّ وتركه، كما أقدره على فعل الخير وتركه، وأمره بهذا ونهاه عن ذاك».

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- كتاب التوحيد - الشيخ الصدوق.

٣- أصول الدين - الإمام المصلح الحاج ميرزا حسن الحائري الأحقاقي.

٤- حياة النفس في حضرة القدس - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

٥- أصول العقائد - للسيد كاظم الرشتي الحسيني.

٦- رسالة عبدالله بيك - للسيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي.

٧- أصول الكافي - للشيخ الكليني.

٨- المخازن - للميرزا حسن الشهير بـ (كَوهر).

٩- عقيدة الشيعة - للحاج ميرزا علي الحائري الأحقاقي.

١٠- الهداية في البيان والمعاني في علم الحكمة - الشيخ أبو تراب بن محمد القزويني.

١١- منار العارفين وبغية العابدين - الشيخ محمد أبو خمسين.

١٢- أسرار القرآن - الشهيد دستغيب.

١٣- رسائل الميرزا أحمد باقر الأسكوئي - الميرزا أحمد باقر الأسكوئي.

١٤- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده.

١٥- حق اليقين في معرفة أصول الدين - السيد عبدالله شبر.

١٦- أحكام الشريعة - المولى الحاج ميرزا عبدالرسول الأحقاقي.

١٧- بحار الأنوار - للعلامة المجلسي.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١- المقدمة	٣
٢- العـدل	٥
- قد يتساءل البعض ما معنى إن الله عادل؟	٥
- قصة (توضح عدل الله سبحانه وتعالى)	٥
٣- ينبغي للمؤمن أن يعيّ ولو ببعض من حقائق عدل الله سبحانه ...	٧
- بعض الأمثلة من حياتنا تدل على عدل الله سبحانه وتعالى ...	٧
- قصة (الإنسان يأخذ وبال عمله آجلا أم عاجلاً)	٨
- قصة	١٠
٤- الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية	١١
أولاً: أمثلة على رحمة الله الرحمانية	١٢
ثانياً: الرحمة الرحيمية	١٤
- أمثلة من الرحمة الرحيمية	١٥
٥- كيف نجمع الشر مع العدل؟	١٩
٦- العبد مركب من نور وظلمة	٢٥
٧- الجبر والتفويض	٣١
- ما المقصود من الجبر والتفويض؟	٣١
- من هم الجبريون؟	٣١
- من هم المفوضة؟	٣٢
٨- المصادر	٣٩